

سورة يونس

مكية إلا الآيات ٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ فنية وآياتها ١٠٩ نزلت بعد الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ آتَتْ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ۝ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَنِ شَفِيعٌ إِلَّا مَنْ بَعْدَ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

سورة يونس عليه السلام

(الر) تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء التي في أوائل السور (تلك آيات الكتاب) إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات، والكتاب هنا القرآن (الحكيم) من الحكمة أو من الحكم أو من الأحكام للأمر أي أحكمه الله (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) الهمة للانكار، وعجبا خبر كان، وأن أوحينا اسمها، وأن أنذر: تفسير للوحى، والمراد بالناس هنا كفار قريش وغيرهم، وإلى رجل هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنى الآية: الرد على من استبعد النبوة أو تعجب من أن يبعث الله رجلاً (قدم صدق) أى عمل صالح فرموه، وقال ابن عباس السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ (قال الكافرون إن هذا لسحر مبين) يعنون ما جاء به من القرآن، وقرئ لساحر يعنون به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويحتمل أن يكون كلامهم هذا تفسير لما ذكر قبل من تعجبهم من النبوة، ويكون خبراً مستأنفاً (إن ربكم الله) تعريف بالله وصفاته ليعبدوه ولا يشركوا به، وفيه رد على من أنكر النبوة كأنه يقول إنما أدعوكم إلى عبادة ربكم الذى خلق السموات والأرض فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين (ممن شفيع إلا من بعد إذنه) أى ما شفيع إليه أحد إلا بعد أن يأذن هو له في الشفاعة، وفي هذا رد على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم (وعد الله حقاً) نصب وعد على المصدر المذكور المؤكد للرجوع إلى الله، ونصب حقاً على المصدر المؤكد لوعده الله (إنه يبدأ الخلق ثم يعيده) أى يبدأ في الدنيا ويعيده بعد الموت في الآخرة، والبداة دليل على العودة (ليجزى) تعليل للعودة وهى البعث (بالقسط) أى بعدله في جزائهم أو بقسطهم في أعمالهم الصالحة (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا) وصف أفعال الله وقدرته وحكمته والضياء أعظم من النور (وقدره منازل) الضمير للقمر والمعنى قدر سيره في منازل (والحساب) يعنى حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالى (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) أى

وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَقُونَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۚ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۚ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۚ وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۚ وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ
أَسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۚ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ
الضَّرُّ دَعَا لَجَنَّتِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَاتِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسِّهِ كَذَٰلِكَ زِينَةُ
لِّلْمُفْسِدِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا
كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۚ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ۚ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بِذَاتِ الْقُرْآنِ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتُمْ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدَّلْتُمْ قُلُوبَكُمْ
مَّا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَقَّاءٍ نَفْسِي ۚ إِنِ اتَّبَعِ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ۚ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُمْ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ۚ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ فَنَنْزِلُ
عَنْهُ السَّحَابَ فَغَمَرْنَا بِهِ الْبَارِئَ فَخُلِبَ مِنْ نَارِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَهُ عِلْمٌ غَيْبٍ ۚ وَتِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الَّتِي نُنَزِّلُ بِهَا الْقُرْآنَ ۚ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَآهُ قَبْلَ هَٰذَا فِي الْفُتُوحِ ۚ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَآهُ قَبْلَ هَٰذَا فِي الْفُتُوحِ ۚ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَآهُ قَبْلَ هَٰذَا فِي الْفُتُوحِ ۚ

ما خلقه عبثاً ، والإشارة بذلك إلى ما تقدم من المخلوقات (إن الذين لا يرجون لقاءنا) قيل معنى يرجون هنا
يخافون ، وقيل لا يرجون حسن لقاءنا ، فالرجاء على أصله ، وقيل لا يرجون : لا يتوقعون أصلاً ، ولا يخطر
ببالهم (ورضوا بالحياة الدنيا) أي قنعوا أن تكون حظهم ونصيبهم (واطمأننوا بها) أي سكنت أنفسهم عن
ذكر الانتقال عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) يحتمل أن تكون هي الفرقة الأولى ، فيكون من عطف
الصفات ، أو تكون غيرها (يهديهم ربهم بإيمانهم) أي يسددهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة أو يهديهم
في الآخرة إلى طريق الجنة ، وهو أرجح لما بعده (دعواهم فيها) أي دعائهم (ولو يعجل الله للناس الشر
استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم) أي لو يعجل الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا سريعاً ،
ونزلت الآية عند قوم في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده ، وقيل نزلت في الذين قالوا : إن كان هذا هو
الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء (وإذا مس الإنسان الضر دعانا) عتاب في ضمنه نهى لمن يدعو الله
عند الضر ، ويفعل عنه عند العافية (الجنة) أي مضطجعا ، وروى أنها نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة لمرض
كان به (ولقد أهلكنا القرون) لإخبار ضمنه وعيد للكفار (لننظر) معناه ليظهر في الوجود فتقوم عليكم الحجة
به (وإذا تلى عليهم) يعني على قريش (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم) أي ما تلوته إلا بمشيئة الله ، لأنه من عنده
وما هو من عندي (ولا أدراككم به) أي ولا أعلمكم به (فقد لبثت فيكم عمراً من قبله) أي بقيت بينكم
أربعين سنة قبل البعث ما تكلمت في هذا حتى جاءني من عند الله (فنأظم من افترى على الله كذباً)

أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ه وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ه وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَاتَنْظَرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ه وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَاءٍ مَّسْتَهُمِ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِن رُّسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ * هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِين بَيْنَ يَدَيْهِ طَيبَةً وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْتُنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا أَجَبَهُمْ إِذَا هُمْ يَغْوُونَ فِي الْأَرْضِ بَغِيرَ الْحَقِّ يَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتٌ

تتصل من الافتراء على الله وبيان لبراءته صلى الله عليه وآله وسلم بما نسبوه إليه من الكذب وإشارة إلى كذبهم على الله في نسبة الشركاء له (أو كذب بآياته) بيان لظلمهم في تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) الضمير في يعبدون لكفار العرب ، وما لا يضرهم ولا ينفعهم هي الأصنام (ويقولون هؤلا شفعوننا عند الله) كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم (قل أتنبئون الله بما لا يعلم) رد عليهم في قولهم بشفاعاة الأصنام ، والمعنى أن شفاعاة الأصنام ليست بمعلومة لله الذي هو عالم بما في السموات والأرض ، وكل ما ليس بمعلوم لله فهو عدم محض ليس بشيء فقوله أتنبئون الله تقرير لهم على وجه التوبيخ والتهميم أى كيف تعلمون الله بما لا يعلم (وما كان الناس إلا أمة واحدة) تقدم في البقرة في قوله كان الناس أمة واحدة (ولولا كلمة سبقت) يعنى القضاء (ويقولون لولا أنزل عليه آية) كانوا يطلبون آية من الآيات التى اقترحوها ، ولقد نزل عليه آيات عظام فما اعتدوا بها لعنادهم وشدة ضلالهم (قل إنما الغيب لله) إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل لا يطلع على ذلك أحد (فاتنظروا) أى انتظروا ونزل ما اقترحتهموه (إنى معكم من المنتظرين) أى منتظر لعقابكم على كفركم (وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء) هذه الآية في الكفار وتضمنت النهى لمن كان كذلك من غيرهم ، والمكرهنا الطعن فى آيات الله وترك شكره ، ومكر الله الموصوف بالسرعة هو عقابه لهم سماء مكرام مشاكلة لفعالهم ، وتسمية للعقوبة باسم الذنب (وجرين بهم) الضمير المؤنث فى جرين للفلك ، والضمير فى بهم للناس ، وفيه الخروج من الخطاب إلى الغيبة ، وهو يسمى الالتفات ، وجواب إذا كنتم : قوله جاءتها ريح عاصف ، وقوله دعوا الله ، قال الزمخشري هو بدل من ظنوا ، ومعناه دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه (متاع الحياة الدنيا) رفع على أنه خبر ابتداء مضمرة تقديره : وذلك

الْأَرْضَ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَمْثَلِ الْأَغْشَىٰ وَجُوهُهُمْ قُطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيْلَنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ لِإِيَابَانَا تَعْبُدُونَ ۖ فَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ۖ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبُرُ الْأُمُورَ

متاع، أو يكون خبر إنما بغيركم، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب (إنما مثل الحياة الدنيا كماه أنزلناه من السماء) معنى الآية تحقير الدنيا وبيان سرعة فناؤها وشبهها بالمطر الذي يخرج به النبات، ثم تصيب ذلك النبات آفة عند حسنه وكاله (مما يأكل الناس) كالزرع والفواكه (والأنعام) يعنى المرعى التى ترعاها من العشب وغيره (أخذت الأرض زخرفها) تمثيل بالعروس إذا تزينت بالحلى والثياب (قادرين عليها) أى متمكنون من الارتفاع بها (أتاها أمرنا) أى بعض الجوائح كالريح، والصر، وغير ذلك (جعلناها حصيدا) أى جعلنا زرعها كالذى حصد وإن كان لم يحصد (كأن لم تغن) كأن لم تنعم (والله يدعو إلى دار السلام) أى إلى الجنة، وسميت دار السلام أى دار السلامة من العناء والتعب، وقيل السلام هنا اسم الله: أى يدعو إلى داره (ويهدى من يشاء) ذكر الدعوة إلى الجنة عامة مطلقة والهدايا خاصة بمن يشاء (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله، وقيل الحسنى جزاء الحسنة بعشر أمثالها والزيادة التضعيف فوق ذلك إلى سبعمائة، والأول أصح لوروده فى الحديث وكثرة القائلين به (قتر) أى غبار يغير الوجه (والذين كسبوا السيئات) مبتدأ على حذف مضاف تقديره جزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أو على تقدير لهم جزاء سيئة بمثلها، أو معطوفا على الذين أحسنوا، ويكون جزاء سيئة مبتدأ وخبره بمثلها (ما لهم من الله من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من عذاب الله (قطعا من الليل مظلمًا) من قرأ بفتح الطاء فهو جمع قطعة وإعراب مظلمًا على هذه القراءة: حال من الليل، ومن قرأ قطعا بإسكان الطاء، فمظلمًا صفة له أو حال من الليل (مكانكم) تقديره الزموا مكانكم أى لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل الله بكم (فزيلنا بينهم) أى فرقنا (تبلو كل نفس ما أسلفت) أى تختبر بما قدمت من الأعمال وقرئ تلو بتاين بمعنى تتبع أو تقرأه فى المصاحف (قل من يرزقكم) الآية: احتجاج على الكفار بحجج كثيرة واضحة

فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۚ فَذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ * كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ۚ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَنُيْهِدِي إِلَى الْحَقِّ أَحقُّ أَنْ يَتَّبِعَ أَمنٌ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي أَمَّا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۚ وَمِنْهُمْ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَن لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ۚ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا

لا يحصى لهم عن الإقرار بها (يخرج الحى من الميت) مذكور في آل عمران (ربكم الحق) أى الثابت الربوبية بخلاف ما تعبدون من دونه (فماذا بعد الحق إلا الضلال) أى عبادة غير الله ضلال بعد وضوح الحق، وتدل الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات، إذ الحق فيها في طرف واحد، بخلاف مسائل الفروع (كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا) المعنى كما حق الحق في الاعتقادات كذلك حقت كلمة ربك على الذين عتوا وتمردوا في كفرهم أنهم لا يؤمنون، والكلمات يراد بها القدر والقضاء (قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده) الآية: احتجاج على الكفار، فإن قيل: كيف يحتاج عليهم بإعادة الخلق، وهم لا ينفرون بها؟ فالجواب، أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرون على الابتداء ولا على الإعادة، وفي ذلك إبطال لربوبيتهم، وأيضا فوضعت الإعادة موضع المتفق عليه لظهور برهانها (أمن لا يهدى) بتشديد الدال معناه لا يهتدى في نفسه، فكيف يهدى غيره، وقرئ بالتخفيف بمعنى يهدى غيره والقراءة الأولى أبلغ في الاحتجاج (فما لكم) ما استفهامية معناها تقرير وتوبيخ ولكم خبرها ويوقف عليه (كيف تحكمون) أى تحكمون بالباطل في عبادتكم لغير الله (وما يتبع أكثرهم إلا ظنا) أى غير تحقيق، لأنه لا يستند إلى برهان (إن الظن لا يغنى من الحق شيئا) ذلك في الاعتقادات إذ المطلوب فيها اليقين بخلاف الفروع (تصديق الذى بين يديه) مذكور في البقرة (أم يقولون) أم هنا بمعنى بل والهمزة (فأتوا بسورة) تعجيز لهم وإقامة حجة عليهم (من استطعتم) يعنى من شركائكم وغيرهم من الجن والإنس (من دون الله) أى غير الله (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) أى سارعوا إلى التكذيب بما لم يفهموه ولم يعلموا تفسيره (ولما يأتهم تأويله) أى علم تأويله ويعنى بتأويله الوعيد الذى لهم فيه (ومنهم من يؤمن به) الآية: فيها قولان أحدهما إخبار بما يكون منهم في المستقبل وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتنادى على الكفر، والآخر أنها إخبار عن حالهم أن منهم من هو مؤمن به ويحكم إيمانه، ومنهم من هو مكذب (فقل لى عملى) الآية: مودة مذوخة بالقتال (من يستمعون إليك)

تَعْمَلُونَ * وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ * وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ * وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانٍ لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بَلْقَاءَ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ * وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَخْرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدَمُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّخَذْتُمُ اللَّهَ مَوْلًى ثُمَّ لَا تُحْسِنُوا شَيْئًا وَتَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ بِلَالِ الْفِتْنَةِ يَحْمِلُونَهَا فإِذَا جَاءَ الْحُكْمُ يُسَبِّحُونَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُوبُ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ *

أى يستمعون القرآن ، وجمع الضمير بالحل على معنى (أفأنت تسمع الصم) المعنى أتريد أن تسمع الصم وذلك لا يكون . لا سيما إذا انضاف إلى الصم عدم العقل (أفأنت تهدي العمى) المعنى أتريد أن تهدي العمى ، وذلك لا يكون لا سيما إذا انضاف إلى عدم البصر عمى البصيرة ، والصم والعمى عبارة عن قلة فهمهم (لم يلبثوا إلا ساعة) تقليل لما دة بقائهم في الدنيا أو في القبور (ويتعارفون بينهم) يعنى يوم الحشر فهو على هذا حال من الضمير فى يلبثوا (وإما نرينك) شرط جوابه وإلينا مرجعهم . والمعنى إن أرينك بعض عذابهم في الدنيا فذلك وإن توفيناك قبل ذلك بإلينا مرجعهم (ثم الله شهيد) ذكرت ثم لترتب الأخبار ، لترتيب الأمر ، قاله ابن عطية ، وقال الزمخشري : ذكرت الشهادة والمرادة مضاهاؤه والعقاب ، فالترتيب على هذا صحيح (بإذ جاء رسولهم) قيل بحجته في الآخرة للفصل ، وقيل بحجته في الدنيا ودوابعه (ويقولون متى هذا الوعد) كلام فيه استبعاد واستخفاف (بيانا) أى بالليل (ماذا يستعجل منه المجرون) المعنى أى شيء يستعجلون من العذاب وهو لا طاقة لكم به ، وقوله ماذا جواب إن أناكم ، والجملة متعلقة بأرايتهم (أنتم إذا ما وقع آنتم به) دخلت همزة التقرير على ثم العاطفة ، والمعنى إذا وقع العذاب وعانتهموه آنتم به الآن ، وذلك لا ينفعكم لأنكم كنتم تستعجلونه ومكذبين به (ويستنبئوك - أحق هو) أى يسألك هل الوعد حق أو هل الشرع ولدين - حق ، والأول أرجح ، لقوله وما أنتم بمعجزين : أى لا تفوتون من الوعد (قل إى) أى نعم (ظلمت) صفة لنفس أى لولئك الظالم الدنيا لا فتدى بها من عذاب الآخرة (وأمرُوا الندامة) أى أخفوها

قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۚ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ۚ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ۚ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَسْأَلْتُمْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ، وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۖ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۖ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ

في نفوسهم ، وقيل أظهرها (موعظة من ربكم) يعني القرآن (وشفاء لما في الصدور) أى يشفى ما فيها من الجهل والشك (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) يتعلق بفضل بقوله فليفرحوا ، وكرر الباء في قوله فبذلك تأكيداً والمعنى الأمر أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته لا بغيرهما ، والفضل والرحمة عموم ، وقد قيل الفضل الإسلام ، والرحمة القرآن (هو خير مما يجمعون) أى فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا (قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق) الآية : مخاطبة لكفار العرب الذين حرموا البحيرة والسائبة وغير ذلك (قل الله أذن لكم) متعلق بأرايتم ، وكرر قل للتأكيد ، ولما قسم الأمر إلى إذن الله لهم واقتراهم ثبت اقتراؤهم ، لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم في ذلك (وما ظن) وعيد للذين يفترون (يوم القيامة) ظرف منصوب بالظن ، والمعنى : أى شيء يظنون أن يفعل بهم في ذلك اليوم (وما تكون في شأن) الشأن الأمر ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو وجميع الخلق ، ولذلك قال في آخرها : وما تعملون من عمل بمخاطبة الجماعة ، ومعنى الآية إحاطة علم الله بكل شيء (وما تلتوا منه من قرآن) الضمير عائد على القرآن وإن لم يتقدم ذكره لدلالة ما بعده عليه ، كأنه قال : ما تلتوا شيئاً من القرآن ، وقيل يعود على الشأن ، والاول أرجح ، لأن الإضمار قبل الذكر تفخيم للشيء (إذ تفيضون فيه) يقال أفاض الرجل في الأمر إذا أخذ فيه بجدة (وما يعزب) ما يغيب (مِثْقَالِ ذَرَّةٍ) وزنها والذرة صغار النمل ، قال الزمخشري ، إن قلت لم قدمت الأرض على السماء بخلاف سورة سبأ ، فالجواب أن السماء تقدمت في سبأ لأن حقها التقديم ، وقدمت الأرض هنا لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) من قرأهما بالفتح فهو عطف على لفظ متقال ، ومن قرأهما بالرفع فهو عطف على موضعه أو رفع بالابتداء أولياء الله اختاف الناس في معنى الولي اختلافاً كثيراً ، والحق فيه ما فسر الله بعد هذا بقوله . الذين آمنوا وكانوا يتقون ، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولي ، وإعراب الذين آمنوا صفة للأولياء ، أو منصوب على التخصيص ، أو مرفوع بإضمارهم الذين ولا يكون ابتداء مستأنفاً لئلا ينقطع مما قبله (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أما بشرى الآخرة فهي الجنة اتفاقاً ، وأما بشرى الدنيا فهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له ، روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل محبة الناس للرجل الصالح ، وقيل ما بشر به في القرآن من الثواب (لا تبدل الكلمات الله)

لَكَلَّمْتُ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۚ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ۚ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَاتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۚ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۚ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمَ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون ۚ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَامْرَأَتُ إِنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۚ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَفَاءَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ

أى لا تغيير لأقواله ولا خلف لمواعيده ، وقد استدلل ابن عمر على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدله (ولا يحزنك قولهم) يعنى ما يقوله الكفار من التكذيب (إن العزة لله) إخبار فى ضمنه وعد للنبي صلى الله عليه وسلم بالنصر ، وتسليية له (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن) فيها وجهان : أحدهما أن تكون مانافية وأوجبت بقوله إلا الظن وكرر إن يتبعون توكيذا ، والمعنى ما يتبع الكفار إلا الظن ، والوجه الثانى أن تكون ما استفهامية ، ويتم الكلام عند قوله شركاء ، والمعنى أى شىء يتبعون على وجه التحقير لما يتبعونه ، ثم ابتداء الإخبار بقوله إن يتبعون إلا الظن ، والعامل فى شركاء على الوجهين يدعون (لتسكنوا فيه) من السكون وهو ضد الحركة (والنهار مبصرا) أى مضيئا تبصرون فيه الأشياء (قالوا اتخذ الله ولدا) الضمير للنصارى ولما قال إن الملائكة بنات الله (هو الغنى) وصف يقتضى نفى الولد والرد على من نسب إليه ، لأن الغنى المطلق لا يفتقر إلى اتخاذ ولد (له ما فى السموات وما فى الأرض) بيان وتأكيد للغنى ، وباقى الآية توبيخ للكفار ووعد لهم (متاع فى الدنيا) تقديره لهم متاع فى الدنيا (نوح) روى أن اسمه عبد الغفار ، وإنما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه من خوف الله (كبر عليكم) أى صعب وشق (مقامى) أى قيامى لو عظمكم والكلام معكم ، وقيل معناه كانى نفسه ، كقولك فعلت ذلك لمكان فلان (وأجمعوا) بقطع الهمزة من أجمع الأمر إذا عزم عليه ، وقرئ بألف وصل من الجمع (وشركاؤكم) أى ما تعبدون من دون الله وإعراجه مفعول معه أو مفعول بفعل مضمر تقديره ادعوا شركاءكم ، وهذا على القراءة بقطع الهمزة وأما على الوصل فهو معطوف (ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أى لا يكون قصدكم إلى هلاكى مستورا ولكن مكشوفاتجاهروتنى به وهو من قولك غم الهلال إذا لم يظهر ، والمراد بقوله أمركم فى الموضعين إهلاككم لنوح عليه السلام ، أى لا تقصروا فى إهلاكى إن قدرتم على ذلك (ثم اقضوا إلى) أى انفذوا فيما تريدون ، ومعنى الآية أن نوحا عليه السلام قال لقومه إن صعب عليكم دعائى لكم إلى الله فاصنعوا بى غاية ما تريدون وإنى لا أبالى بكم اتوكلى

كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ نَجَاءً وَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ * قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ . قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ . وَقَالَ فِرْعَوْنُ اثْنُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ . فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ . فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُظِلُّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ * فَأَمَّا أَمِنْ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ لِمَنْ لَمْ يَرْفَعْ يَدَهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَقَالَ مُوسَى يُقَوْمُ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا

على الله وثقتى به سبحانه (وجعلناهم خلائف) أى يخلفون من هلك بالغرق (ثم بعثنا من بعده رسلاً) يعنى هودا وصالحا وإبراهيم وغيرهم (أسحر هذا) قيل إنه معمول أتقولون ، فهو من كلام قوم فرعون وهذا ضعيف لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر لقولهم : إن هذا السحر مبين ، فكيف يستفهمون عنه ، وقيل إنه من كلام موسى تقرير أو توبيخهم فيوقف على قوله أتقولون للحق لما جاءكم ، ويكون معمول أتقولون محذوف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر ويدل على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم إن هذا السحر مبين ، فلما تم الكلام ابتداء موسى توبيخهم بقوله : أسحر هذا ولا يفلح الساحرون ، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبى جعفر ابن الزبير رحمه الله (للفتن) أى لتصرفنا وتردنا عن دين آبائنا (وتكون لكم الكبرياء) أى الملك ، والخطاب لموسى وأخيه عليهما السلام (ما جئتم به السحر) ماموصولة مرفوعة بالابتداء والسحر الخبر وقرئ أسحر بالاستفهام فما على هذا استفهامية ، والسحر خبر ابتداء مضمرة (ويحق الله الحق) يحتمل أن يكون من كلام موسى أو إخبار من الله تعالى (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه) الضمير عائد على موسى ومعنى الذرية شبان وفتيان من بنى إسرائيل آمنوا به على خوف من فرعون ، وقيل إن الضمير عائد على فرعون ، فالذرية على هذا من قوم فرعون ، وروى في هذا أنها امرأة فرعون وخازنته وامرأة خازنه ، وهذا بعيد ، لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية ، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور (على خوف من فرعون وملائهم) الضمير يعود على الذرية أى آمنت الذرية من بنى إسرائيل على خوف من فرعون وملائه من بنى إسرائيل لأن الأكبر من بنى إسرائيل كانوا يمتنعون أولادهم من الإيمان خوفاً من فرعون ، وقيل يعود على فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له (أن يفتنهم) يدل من فرعون (لعال في الأرض) أى

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ وَأَوْحِنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ الْقَوْمَ مَكًا بِمِصْرَ يَبُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَآمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَآمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * ءَأَلْتَنُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ۝ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبَآءَ صَدُقَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ

متكبر قاهر (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أى لا تمكنهم من عذابنا فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما عذبناهم فيفتنون بذلك (أن تبوء لقومك بمصر يوتاً) أى اتخذاهم يوتاً للصلاة والعبادة ، وقيل إنه أراد الإسكندرية (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مساجد وقيل موجهة إلى جهة القبلة ، فان قيل لم خص موسى وهارون بالخطاب في قوله أن تبوء ، ثم خاطب معهما بنو إسرائيل في قوله واجعلوا ، فالجواب أن قوله تبوء من الأمور التى يختص بها الأنبياء وأولوا الأمر (وبشر المؤمنين) أمر لموسى عليه السلام ، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم (ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء بلفظ الأمر ، وقيل اللام لام كى وتعلق بقوله آتيت (اطمس على أموالهم) أى أهلكها (واشدد على قلوبهم) أى اجعلها شديدة القسوة (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء الذى هو اشد ، ودعاء بلفظ النفي (قال قد أجيبتم دعوتكما) الخطاب لموسى وهارون على أنه لم يذكر الدعاء إلا عن موسى وحده لكن كان موسى يدعو وهارون يؤمن على دعائه ، (فاستقيما) أى اثبتا على ما أتما عليه من الدعوة إلى الله (فأتبعهم فرعون) أى لحقهم يقال تبعه حتى أتبعه ، هكذا قال الزمخشري ، وقال ابن عطية أتبع بمعنى تبع ، وأما اتبع بالتشديد فهو طلب الأثر سواء أدرك أو لم يدرك (لا إله إلا الذى آمنتم به بنو إسرائيل) يعنى الله عز وجل ، وفى لفظ فرعون بجهلة وتعنت لأنه لم يصرح باسم الله (آلآن وقد عصيت قبل) أى قيل له أتؤمن الساعة فى وقت الاضطراب وذلك لا يقبل منك (تنجيك) أى نبعدك ، أجرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر ، وقيل نلقيك على نجوة من الأرض أى على موضع مرتفع (بيدك) أى بجسدك جسد ابدي روح ، وقيل بدرعك ، وكانت له درع من ذهب يعرف بها والمخدوف فى موضع الحال والباء للمصاحبة (لتكون لمن خلفك آية) أى لمن وراءك آية وهم بنو إسرائيل (مبوأ صدق) منزلاً حسناً وهو مصر والشام (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) قيل يريد اختلافهم فى دينهم وقيل اختلافهم فى أمر محمد صلى

الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَفَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ، وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ، فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ * وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ * فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَاتَّظَرُّوْا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ ، ثُمَّ نَجَّيْ رُسُلَنَا

الله عليه وسلم (فإن كنت في شك) قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والمراد غيره ، وقيل ذلك كقول القائل لابنه : إن كنت ابنى فبرنى مع أنه لا يشك أنه ابنه ، ولكن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم ، فأمره بسؤالهم ، قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ، وقال الزمخشري إن ذلك على وجه الفرض والتقدير ، أى إن فرضت أن تقع في شك فاسأل (عما أنزلنا إليك) قيل يعنى القرآن أو الشرع بجملة ، وهذا أظهر ، وقيل يعنى ما تقدم من أن بنى إسرائيل ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم الحق (فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) يعنى الذين يقرؤون التوراة والإنجيل ، قال السهيلي هم عبد الله بن سلام ومخير بن ومن أسلم من الأحبار ، وهذا بعيد ، لأن الآية مكية ، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة ، فحمل الآية على الإطلاق أولى (فلا تكونن) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (حققت كلمة ربك) أى قضى أنهم لا يؤمنون (فلولا كانت قرية آمنت) لولا هنا للنحضيض بمعنى هلا ، وقرئ في الشاذ هلا ، والمعنى هلا كانت قرية من القرى المتقدمة آمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها : إذ لا ينفع الإيمان بعد معاينة العذاب كما جرى لفرعون (إلا قوم يونس) استثناء من القرى ، لأن المراد أهلها ، وهو استثناء منقطع بمعنى : ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب ، ويجوز أن يكون متصلا ، والجملة في معنى النفي كأنه قال ما آمنت قرية إلا قوم يونس ، وروى في قصصهم أن يونس عليه السلام أُنذِرهم بالعذاب ، فلما رأوه قد خرج من بين أظهرهم علموا أن العذاب ينزلهم فتابوا وتضرعوا إلى الله تعالى فرفعه عنهم (ومتعناهم إلى حين) يريد إلى آجالهم المكتوبة في الأزل (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) الهمة الإنكار أى تريد أنت أن تكره الناس في إدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك ، وليس ذلك إليك إنما هو بيد الله ، وقيل المعنى أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يؤمنوا أو كان هذا في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد ثم نسخت بالسيف (انظروا) أمر بالاعتبار والنظر في آيات الله (وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) يعنى من قضى الله عليه أنه لا يؤمن ، وما نافية أو استفهامية يراد بها النفي (فهل ينتظرون) الآية : تهديد (حقا علينا) اعتراض بين العامل

وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِ الْمُؤْمِنِينَ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَئِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ يَسْسُكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ لَكُمْ الْهُدَىٰ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَمَّا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ *

سورة هود

مكية إلا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤ فمدنية وآياتها ١٢٣ نزلت بعد سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ * إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ * إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *

ومعموله وهما كذلك ، ونج المؤمنين (وأن أقم وجهك) الوجه هنا بمعنى القصد والدين (وما أنا عليكم بوكيل) منسوخ بالقتال ، وكذلك قوله واصبر حتى يحكم الله وعد بالنصر والظهور على الكفار

سورة هود عليه السلام

(الز) (كتاب) يعني القرآن ، وهو خبر ابتداء مضمرة (أحكمت) أي أتقنت فهو من الإحكام للشيء (ثم فصلت) قيل معناه بينت وقيل قطعت سورة سورة ، وثم هنا ليست للترتيب في الزمان ، وإنما هي لترتيب الأحوال : كقولك فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل (ألا تعبدوا إلا الله) أن مفسرة وقيل مصدرية في موضع مفعول من أجله ، أو بدل من الآيات أو يكون كلاما مستأنفا منقطعا عما قبله على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويدل على ذلك قوله إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) أي استغفروه عما تقدم من الشرك والمعاصي ، ثم ارجعوا إليه بالطاعة والاستقامة عليها (يمتعكم متاعا حسنا) أي ينفعكم في الدنيا بالآرزاق ، والنعم ، والخيرات ، وقيل هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه ، لأن الكافر قد يتمتع في الدنيا بالآرزاق (إلى أجل مسمى) يعني إلى الموت (ويؤت كل ذي فضل فضله) أي يعطى في الآخرة كل ذي عمل جزاء عمله ، والضمير يحتمل أن يعود على الله تعالى أو على ذي فضل (وإن تولوا) خطاب